

الفصل الثاني

التأخير

نشأت نظرية التلقي في ألمانيا الغربية، وتنسب لجامعة كونستانس، ومن ممثليها : ياكوبس وآيزر، و الناقد الأمريكي ستانلي فيش الذي اهتم كثيرا بنظرية الاستقبال.

تقوم نظرية (التلقي على عدة أمور :

- كيفية تلقي العمل الأدبي والخطابات.
- إبراز الوسائل والطرائق التي تتم بها عملية استقبال الكتابات الإبداعية. ويقصر بها ما يدور في نفس (التلقي من) :
- الافتراض التوقعي المسبق.
- طرح فرضيات وأسئلة متعلقة بالعمل بشكل مسبق، قبل الدخول إلى القراءة والتحليل والتأويل.
- وآلية الربط والاستنتاج التي تبني على خلق الروابط الذهنية واللغوية لحق اتساق النص وانسجامه من أجل إزالة غموض النص وإبهامه.

وتعتمد هذه النظرية على أن الكاتب يترك بياضات فارغة تحتاج إلى ملئها عن طريق التأويل والتفسير والاستنتاج الدلالي والمقصدي. ويتجلى دور القارئ في ملء الفراغات -البياضات، والإجابة عن نقط الحذف والصمت والرفض.

كما أن هناك مجموعة من الإشارات والأدلة وآثار النص التي يتركها المبدع لتكون نبراسا للمتلقين، الذين يقومون بدورهم في تفكيك هذه

الإشارات اللغوية والعلامات السيميائية بالشرح أو التأويل وصولاً إلى المعنى المفترض الذي يتغير في الزمان والمكان ومن قارئ إلى آخر حسب تغير الظروف التاريخية ، وتحول السياقات الخارجية.

ولقراءة وفهم العمل يجب علينا أن نكون بالفعل على دراية بالرموز التي تستخدمها هذه القراءة .

ويرى آيزر أن المتلقي الحقيقي هو الذي يرتكن إلى القراءة النقدية الإدراكية التي تستكشف الرموز بشكل جيد وواع ، وبطريقة عميقة.

دور المتلقي (القارئ) :

إن الشيء الأساسي في قراءة كل عمل أدبي ، هو التفاعل بين بنيته النصية ومتلقيه (أي القارئ) .

ولا تظهر جمالية التفاعل إلا من خلال تأمل القارئ واستيعاب وجهات النظر المختلفة التي يقدمها النص ويربط الآراء والنماذج المختلفة بعضها ببعض ؛ إذ أن مهمة المتلقي مقصورة فقط على مجرد الحكم على العمل الأدبي بالحسن أو القبح ، بل هي مهمة واعية يتم فيها التأمل والقدرة على إدراك العلاقات وتكوين صورة شاملة عن النص وما يتضمنه من عناصر الاستحسان أو الاستهجان وما يحيط بالنص من ظروف. فخبيرة المتلقي " ليست مقاييس هندسية حادة ، تتعامل مع النص بحسابات جبرية فترفض هذا الشكل لوجود انحراف معين عن زواياه المحددة ، أو تقبل غيره

لتساوقه مع القياس " بل خبرته وذوقه الجمالي هي وسائل استكشاف لعناصر الجمال في النص.

وهذا يقووننا إلى القول إن مهمة (المتلقي عمل فني مشترك تسهم فيه جهات عدة:

○ المبدع صاحب النص بخلاصة التجربة التي عايشها.

○ واللغة بما تحمل من معان ودلالات وإيحاءات .

○ والدارس أو المتلقي بخبرته الفنية وذوقه الجمالي.

ولا شك أن الصلة العلاقة بين هذه العناصر تشبه " بناء هرميا ، قمته النص في لغته ومعطياته ، وقاعدته المتلقي والأديب وهي علاقة قد لا تبدو واضحة وضوح الحس بهذا الشكل التنظيمي ولكنها علاقة ذهنية تفرض نفسها على المتلقي ناقدًا أو قارئًا أو مستمعًا."

ولأن العمل الأدبي يقوم بقراءته قراء عدة ، ولذلك تتعدد القراءات وتنوع " ولكن القراءة الصحيحة هي التي تتوافق مع معنى النص ، وتحترم تماسكه واتساقه وانسجامه ومنطقة السداخلي العضوي ، بعيدا عن الإسقاطات الخارجية ، والتأويلات البعيدة التي تقول النص مالم يقله إطلاقاً فنرى منها :

الفراءة الشعرية :

وهي تقوم استكشاف أدبية النص ، واعتماد البنيوية اللسانية منهجا في التحليل والمقاربة ، وفيها يقوم المتلقي بالبحث عن الدلالات المتعددة للنص

من خلال تفكيك بنية النص وإعادة تركيبه ، وتركز هذه القراءة على المتلقي كقارئ خارجي وقارئ مفترض داخل العملية السردية. وقد توصل تودوروف في دراساته الشعرية والبنوية إلى أن القراءة الشعرية هدم وبناء وتفكيك. كما أنها قراءة تعنى بقراءة الخطاب صيغة وزمانا، ومنظورا ووصفا. وبالتالي، تتكئ هذه القراءة على التدليل، والترميز والتأويل.

القراءة السوسيوثقافية (sociocritique):

هي التي تربط الأدب بالمجتمع، ولكن ليس في ضوء الانعكاس المباشر، بل تقرأه بطريقة جمالية مستقلة في علاقة بالواقع المعطى.

وقد نادى بهذه القراءة : كلود دوشيه، وريمون ماھيو، وبيرزما وفرانسواز كايار...، ويرون أن هذه القراءة النقدية تهدف إلى : "ممارسة قراءة ذات طابع خصوصي إزاء النص الأدبي، تحترم استقلالته باعتباره شكلا جماليا، وفي الوقت نفسه، تنصت إلى الطرق التي بواسطتها يتضمن هذا الشكل ما يربطه بشكل آخر أو بالآخر الاجتماعي. فالأمر - إذا - يتعلق بالقيام بهذه الممارسة، شريطة ألا يتدخل أي نظام خارجي ليفرض أي انزياح عن فهم النص، أو ليقرب الرهانات.

كما يري كلود دوشيه (Claude Duchet) أن القراءة السوسيونقدية هي التي تجمع بين النصية أو الجمالية الأدبية والواقع الاجتماعي. أي: تمزج بين الأدب كبنية جمالية مستقلة والمعطى السوسيولوجي كما هو حال

البنوية التكوينية للوسيان كولدمان ، الذي يماثل بين البنية الأدبية المستقلة والبنية الاجتماعية المستقلة بدورها وذلك عن طريق الانعكاس غير المباشر.

القراءة التواصليّة:

(التي تقوم على وجود ثلاثة أطراف):

- المرسل (الباث - المتكلم - المتلفظ - المرسل - المتحدث - المبدع).
 - والرسالة (النص - الأدب - الخطاب - التلفظ ...).
 - والمتلقي (القارئ - المرسل إليه - المستقبل - المتلفظ إليه).
- ومن ثم ، فالباث أو المرسل هو الذي يسنن رسالة ما سواء أكانت ذهنية أم وجدانية ليرسلها إلى المتلقي ، ليقوم بدوره بتفكيكها في ضوء سنن مشترك أو لغة يعرفها كل من المرسل والمرسل إليه.
- ويرى رومان جاكبسون أن (القراءة التواصلية تقوم على ست عناصر في عملية التواصل):

- المرسل ووظيفته انفعالية.
- والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية.
- والرسالة ووظيفتها جمالية.
- والمرجع ووظيفته مرجعية.
- والقناة ووظيفتها حفاظية.
- واللغة ووظيفتها وصفية تأويلية وتفسيرية.

وفي هذه القراءة يقوم المتلقي بتفكيك هذه العلامات تشريحا وتفسيرا وتأويلها في ضوء تجاربه الشخصية وقدراته وانطباعاته وهويته الذاتية، وينتظر منه أن يثري البلاغ الأدبي بإضافات شخصية من عنده يسلطها عليه.

القراءة الإسلامية:

واضح من عنوانها أنها تعنى بقراءة الأعمال والإبداعات الأدبية في ضوء القيم الأخلاقية والتصور الإسلامي للفن والأدب.

وفي هذه القراءة يتمثل المتلقي المضامين القرآنية وما فيه من هدي وإرشاد و الاقتداء بالسنة النبوية المطهرة وما فيها من سماحة ورشاد والاحتكام إلى الالتزام الإسلامي نظرية وتطبيقا، والابتعاد عن سيئ الأخلاق والتصورات الإباحية والابتعاد أيضا عن كل الفلسفات العبدية والوجودية، وتجنب الإسفاف اللغوي وتفادي الغموض والإبهام، إلا إذا كان ذلك الغموض فنيا قد وظف في سياقات جمالية مقبولة.

كما أن القراءة الإسلامية تعنى بالجمال الفني والأدبي وتحرص عليه ولكن في ضوء التعاليم الإلهية والمقاييس الشرعية، والاهتمام بقيم الحق والخير والعدل والدعوة إلى الصدق، والعمل على تحقيق التناسب الفني والجمالي، والعناية بكل من الجانبين : المادي والروحي .

ومن هذا المنطلق تنبذ القراءة الإسلامية مواطن الضلالة والشرك
والغبي والإلحاد في النصوص والخطابات ، فتعمل على تصحيح المفاهيم
ولإضاءتها بنور الحق الإلهي .

وفي ضوء القراءة الإسلامية يكون المتلقي عنصرا إيجابيا هاديا مرشدا
فاعلا في المجتمع وهناك كثير من الكتاب والنقاد الذين تمثلوا القراءة
الإسلامية نظيرا وتطبيقا ودعوة وتوجيها.

وقد يوجه نقد إلى هذه النظريات القرائية من أنها أغفلت جانبا على
حساب الآخر . لذا ، فالمنهج التكاملي أو التوفيقى هو أفضل المناهج ؛ لأنه
يتناول جميع الجوانب من الأدب ، فيدرسها بشكل متكامل.

وفي ضوء المنهج التكاملي يكمن تناول الحقيقي ، حيث يأخذ كل
عنصر مشارك في صنع العمل (الأدبي) حقه :

- مؤلف العمل الأدبي ومبدعه .
- والعمل الأدبي (نثر أو شعرا) .
- والمجتمع والبيئة التي قصدها العمل الأدبي أو بيئة المبدع .
- والذوق وما في النص من أحاسيس وجمال .
- والنفس وما فيها من ميول وما لها من توجهات ، والمتلقي ، ومـ
يتمتع به من قدرات وميول .

وخلاصة القول أن القراءة المثالية هي التي تعني بالنص الموازي والنص الداخلي، وتعنى كذلك بدراسة السياق الخارجي وما يتضمنه من: تاريخ، ونفس ومجتمع، وقارئ، وذات، وثقافة، واقتصاد، وبيئة، وعقيدة.

إشكالية القراءة أسباب الضعف والعلاج:

القراءة فرع مهم من فروع اللغة العربية ، يأتي - في اعتقادي - في الدرجة الأولى ، لذا ينبغي أن نفرد لها مكانا يليق بأهميتها من حيث تعريفها وبيان أسباب الضعف وطرائق العلاج والنهوض بها .

كثيرون ينظرون إلى إشكالية القراءة من جانب أحادي أو بتعبير آخر من منظور أحادي وهو الطالب ، ثم الطالب ، ويرجعون أسباب (الترني) إلى أمور منها :

- قلة الدافعية لدى الطالب .
 - قلة الانتباه والتركيز .
 - وجود ضعف في النطق أو مخارج الحروف.
 - وجود مشتتات تحول دون تركيز الطالب .
- إلى آخر ذلك من الأسباب المتعلقة بالطالب ، وكأنه هو وحده سبب المشكلة .

وحقيقة الأمر أن الإشكالية القرائية ينبغي أن ينظر إليها من جوانب ثلاثة وبتعبير آخر من منظور ثلاثي :

١- الطالب .

٢- التلقي .

٣- المعلم (المرشد)

فالطالب حين يقرأ (قراءة جهرية أو صامتة) ينبغي لتكون القراءة مفيدة ناجعة أن يصحبها ما يعرف بـ (جودة التلقي) ، والمقصود بالتلقي هنا : الفهم الجيد والتحليل والتفاعل والاستنباط والوقوف على مستوى ما يقرأ شكلا ومضمونا .

(القراءة) عون عملة ذات وجهين :

وجهها الأول : القراءة ، ووجهها الثاني التلقي .

مرحلتان يمر بهما الطالب : القراءة والتلقي .

- ولكي تتم مرحلتا القراءة والتلقي فلا بد من وجود معلم مرشد بنظم إيقاع هذه العملية الثنائية .

- نركز - كثيراً - على نوعية القراءة : صامتة أو جهرية ، وكيف نقرأ ولا نتعرض في الأغلب الأعم للتلميذ وال - اتيجيته وكيفية إتمامه على وجهه الصحيح .

- وغير خاف علينا جميعا أن التلقي الجيد هو الأساس الذي قامت عليه معايير المناهج في مضمونها ومحتواها ، ولكن كثيرا من المعلمين

يفتالون عملية التلقي اغتيالاً ، ويذبونها بسكين المعايير حين يقسمون
الدرس إلى أجزاء : فبعد القراءة الصامتة أو الجهرية التي تتم - كثيراً -
في عجلة ، يتجه بعدها المعلم إلى تناول المفردات والتهجئة معللاً ذلك
بالسير على نهج المعيار والالتزام به وتطبيقه ، يتم ذلك في جزء ضئيل
من الحصة ، ثم تنقلب الحصة تلقائياً إلى حل لأسئلة الكتاب (سؤال
وجواب) ، حرصاً من المعلم على حل استيعاب أسئلة الكتاب وحلها
كاملة مع الطالب ، مخلفاً وراءه :

- محتوى لم يتم فهمه ومضمونا لم يختمر في ذهن الطالب .
 - أفكاراً لم تحدد بعناية .
 - تذوقاً لبعض العبارات لم يتم تناوله .
 - تحديداً لسمات الكاتب لم يتم الوقوف عليها .
- وننتهي قراءة الموضوع ولما يتحقق الهدف الأسمى من القراءة ولم
ننهض بقدرات الطالب ومهاراته ، فإذا ما أقبل الامتحان ووضع للطالب
نص قرائي (شعري أو نثري) .
- يضل الطالب في ساحته ، ولا يملك لنفسه حولا ولا قوة ، ويخفق في
التوصل إلى في النص من تحليل واستنتاج وتذوق وتعليل .

لذا كان التركيز على كيفية التلقي أمراً مهماً ، عملية (التلقي تمر بمرحلة
مرحلة :

- قراءة أولى يتم فيها تعريف بأهمية الموضوع أو بمناسبة النص والشاعر
أو كاتب النص والغرض من النص وما يتضمنه من فكر .
(قد يتعلل المعلم بعدم وجود المعايير التي تفعل هذا المطلوب)
ونقول له : المعايير موجودة ؛ ليس من الضروري تناولها بالترتيب .
- قراءة ثانية يتم فيها تناول المفردات والأساليب وجماليات النص
أو بلاغة بعض الأساليب ، وتفضيل الكاتب لأسلوب دون آخر .
- قراءة ثالثة يتم فيها الوقوف على سمات أسلوب الكاتب أو خصائص
أسلوب الشاعر ، وتقييم المحتوى ، وإبراز ما في الموضوع من إيجابيات
وسلبات .

مع مراعاة ألا تتم تجزئة هذا التناول ، بمعنى أننا في الوقت المحدد
للحصة إذا تم تناول المحتوى برجه عام واستنباط أفكاره فلا بأس من الإشارة
إليها والتذكير بها في إيجاز في الحصة التالية ، ثم يتم تناول بقية إستراتيجيات
التلقي حتى تؤتي أكلها وتقوى ملكات الفهم والتحليل والاستنباط لدى
الطالب .

ومع هذا كله لا ننسى تكامل فروع المادة من خلال ما يتم من التلقي
تفعل فيه مهارات الكتابة والتحدث والاستماع والقواعد ، على أن يتم

ذلك تلقائيا من خلال تفاعل الطلاب ، مؤكدين أن حصة القراءة التي لا تتكامل فيها فروع المادة حصة يعتورها الضعف والنقصان .

أما وور (المعلم) (المُرشد) فهناك عدة اعتبارات ينبغي فيها على (المعلم) :

- ١- أن يستشعر أهمية القراءة ويؤمن بما لها من دور فعال .
- ٢- أن يعد نفسه إعدادا ذهنيا ، ويقرأ عن الموضوع من مصادر متعددة ويشري محصوله اللغوي والمعرفي في المحتوى الذي ينصب عليه الموضوع (هناك من يتعلل بكثرة الأعمال المطلوبة من المعلم ممثلة في : التحضير وتصويب الدفاتر ، وما تطلبه الإدارة من أعمال ... إلخ) . وأقول للأخ الزميل (بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره) يستطيع المعلم أن يتنزع لنفسه الوقت المطلوب (إذا أراد !!!!!!!)
- ٣- أن يكون لديه من الحماس لرسائله التعليمية ما يعينه على الارتقاء بمهارة القراءة والتلقي ، والأخذ بيد الطالب ، واضعين في الاعتبار أن فاقد الشيء لا يعطيه .
- ٤- أن ينمي في الطالب مهارة :
 - استنباط الأفكار .
 - تحليل النص .
 - الموازنة والمقارنة .
 - الوقوف على دلالات الكلمات وما بينها من فروق .

- فهم ما بين السطور وما هو مخبوء في ثنايا الأسلوب .
ولا يتأتى ذلك كله ولا يتحقق للمعلم إلا إذا فعل ما تفعله النحلة
يجمع للطالب من هنا وهناك من النصوص القصيرة المختارة التي تجذبه
وتستهويه وتعينه على الاستنباط والتحليل والموازنة والتذوق ، ليخرجه .
بعد ذلك - علما وعسلا طيبا فيه شفاء للناس وفق الله الجميع لما فيه الخير
والرشاد .

جدلية القراءة والتلقي:

حراك دائم لا ينقطع تشكل بنية النص الأدبي من عنصرين اثنين :
الملفوظ اللغوي ، والتأثير الشعوري في القارئ ، ولا يكون للنص وجود (الله
بالمشاركة (الفعالة بين):

- المؤلف مبدع العمل الأدبي ومكون أجزائه.
 - النص بعنصره الأساسيين : الشكل والمضمون .
 - القارئ أو المتلقي الذي يطلع على ما أنتجته قريحة المبدع .
والرابط بين أضلاع هذا المثلث هو القراءة والتلقي .
- وكانت أواسط الستينات مؤذنة بظهور نظرية التلقي على يد النقاد
الألمان ، كما كان من روادها: هانس روبرت ، وفولفغانغ إيزر وغيرهما .
وجدير بالذكر أن ظهور هذه النظرية كان أمراً ضروريا كرد فعل
للمناهج السابقة التي انصبحت محتواها على النص الأدبي ، أو على المبدع
دونما أي اهتمام بالقارئ .

ومما يحسب لهذه النظرية أنها أعادت الاهتمام بالقارئ ، وأعتبرته محورا أساسيا في العملية الأدبية لكونه المعني الأول بالخطاب الأدبي .

وإن كان من سبق في هذا الاعتبار فيحسب لأجدادنا العلماء العرب السابقين ؛ إذ فطن شيخ العربية العالم الجليل عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية دور القارئ في تلقي العمل الأدبي ومدى مشاركته في العملية الأدبية فتوجه بالكلام إليه ، وخصه بالحديث في مواضع كثيرة مما كتب ، وحرص على تبصرتة بخفايا العمل الأدبي وكيف يتناوله وكيف يُحكم تأويله مبينا أنه (لا يعلم تأويله إلا الراسخون) ، وانظر إليه يهدي القارئ إلى كيفية قراءة العمل الأدبي والوصول إلى مكوناته ، وكيف ينظر إلى الأسلوب وتأويل (المعنى في قوله :

" لا نظم في الكلم ، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذا بسبب من تلك .. وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس .."

والمتلقي عنده كالغواص الماهر ، يبذل الجهد وينصب حتى يحصل على اللآلئ والأصداف ، يقول : " فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصدف ، لا يبرز إلا أن تشق عنه ، أو كالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ..."

ولكي تقرأ العمل الأدبي ينبغي أن تسلك سُبلا وطرائق من قراءات متعددة مختلفة تتم حيال النص الأدبي نذكر لك منها :

١- القراءة النفسية :

وهي تتم في ضوء المقاربة النفسية ، التي ارتاد معالمها سيجموند فرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي حين اكتشف منطقة اللاشعور ، وربطها بالأننا والأيما الأعلى ، وفي ضوء هذه القراءة يفسر العمل الأدبي ويقرأ من خلال العنصر النفسي مثل :

○ عقدة أوديب

○ عقدة إيكتر

○ النرجسية

○ التعويضية

○ الكبت

○ التسامي

٢- القراءة التأويلية :

التي تقوم على اكتشاف معاني النص ، وما يزخر به من دلالات وإيحاءات وهذا ما أشار إليه (غادامير) في كتابه (الحقيقة والطريقة) عام ١٩٧٥ م ، إذ يبين أن العمل الأدبي ليس جامدا بل يمر عبر سياقات تاريخية وثقافية مختلفة ، كما يرى (غادامير) " أن تأويل النصوص والأعمال الأدبية يتم عبر التحيز واستكشاف العادات والتقاليد التي تشترك فيها جميع مؤلفات الأدب .. "

٣- القراءة التثقيفية :

وهي التي نادى بها الفيلسوف الفرنسي (جاك دريدا) ، وفي ظلها تنصب القراءة على محتوى النص الأدبي ، وتقوم على تقويض نظامه وبنيته سعيا إلى فهمه من خلال الكشف عن المتضاد والمتناقض والمختلف والمتنوع في إطار ثقافات متعددة .

وللقارئ حرية ما يتبع من قراءات ، وقد يجمع أكثر من واحدة في تناول نص بعينه وفي النص الذي سنعرضه ، وهو للمعتمد بن عباد ، أمير أشيلية في دولة الأندلس ، لا نستطيع فهمه دون الرجوع إلى الحالة النفسية التي كان عليها كاتب النص .

ومن منظور القراءة النفسية نستطيع الولوج إلى رحبة النص وفهم معانيه ، ولا يتأتى ذلك دون معرفة مناسبة النص ، والتي كانت في دولة الأندلس وتتلخص في ذهاب المعتمد بن عباد إلى فتح (مالقة) ، ومعه أخوه (جابر) ، ولم يمض قليل على فتحها حتى عاد (باديس الصنهاجي) فانتزعا منها ، واضطر المعتمد وأخوه إلى الفرار إلى (رندة) ، وقد أثارت هذه الحادثة غضب والده الأمير الفارس ، فظل المعتمد يستعطف أباه ويعتذر عما فرط في قصيدته الرائية التي تعد أطول قصائد المعتمد جميعا يقول في بعض أبياتها :-

مَكُنْ فَوادَكَ لَا تَذْمَبْ بِهِ
الْفِكْرُ مَاذَا يُعِيدُ عَلَيْكَ الْبَثُّ وَالْحَذْرُ؟
وَأَصْبِرْ فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ أُولِي جَلْدٍ
إِذَا أَصَابَتْهُمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
وَإِنْ تُكُنْ خِيَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً
فَكَمْ غَدَوَاتٍ وَمِنْ أَشْيَاعِكَ الظُّفْرُ
ضَيْعُ مَا يَقْتُلُ الْأَبْطَالَ مُفْتَرِسًا
لَا تَوَهَّمَنِّي فَإِنِّي النَّابُ وَالظُّفْرُ
قَدْ أَخْلَقْتَنِي صُرُوفَ أَنْتَ تَعْلَمُهَا
وَقَالَ مُورِدُهَا مَالِي بِهَا صَدْرُ
لَمْ يَأْتِ عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِقُّ بِهِ
عُتْبَى وَمَا هُوَ نَادَاكَ يَعْتَذِرُ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغَلٍ
وَفِي لَهُمْ عَهْدُكَ الْمَعْهُودُ إِذْ غَدَرُوا
قَوْمٌ نَصِيحَتُهُمْ غِشٌّ وَصَدَقَتُهُمْ
مَيْمَنٌ وَتَفَعَّلُوا مِنْهُمْ إِنْ صُرِفُوا ضَرَرُ
يُمَيِّزُ الْبُغْضُ فِي الْأَلْفَاظِ إِنْ نَطَقُوا
وَيَعْرِفُ الْحَقْدُ فِي الْأَحَاظِ إِنْ نَظَرُوا

مَولاي دَعْوَة مَمْلُوكٍ بِهِ ظَمًا

بِرَحٍ وَفِي رَاحَتِكَ السَّلْسَلُ الْخَضِرُ

أَجِبْ نِدَاءَ أَخِي قَلْبِي مَمْلُوكُهُ

أَسَى وَذِي مُقْلَةٍ أودى بِهَا السَّهَرُ

رِضَاكَ رَاحَةً نَفْسِي لَا فُجِعْتُ بِهِ

فَهُوَ الْعَتَاؤُ الَّذِي لِلدَّمْرِ أَذْخِرُ

وَإِنَّمَا أَنَا سَاعٌ فِي رِضَاكَ فَإِنْ

أَخْفَقْتُ فِيهِ فَلَا يُفْسَحُ لِي الْعُمُرُ

ولما أن عرفنا حالة المعتمد بن عباد النفسية السيئة نستطيع تأويل النص بالوقوف على عدة أمور تبرز من خلال الشكل والمضمون وتبين مقبرة (الشاعر منها) :

هذا الاستهلال الطيب والافتتاح بفعل الأمر (سكن) وما يحمل من طلب والتماس يمهّد لقضيته التي يمرضها ، وما في الفعل من دلالة صوتية نابعة من حروف الفعل (س - ك - ن) فالسين والكاف حرفان مهموسان يناسبان التمهيد الذي قصد إليه الشاعر ، لينتهي الفعل بالحرف المجهور (النون) ، ولتحقق دلالة حروف الفعل الصوتية الواضحة ما قصد إليه الشاعر من حسن التمهيد وتهيئة والده الأمير لسماع ما سيدي من اعتذار

ويزيد في هذه التهيئة وما تحمل من رضا وقبول استخدام صيغة الأمر (واصبر) حتي ينزل الاعتذار بردا وسلاما على قلب والده الأمير الفارس الشاعر الذي يدرك مواطن البلاغة ومكامن الفصاحة .

ويعد هذا الاستهلال الطيب ، يشيد بوالده الأمير ويطريه بما فيه من صفات الفروسية والبطولة ، فيبين أنه الضيغم الفاتك الذي - كثيراً - ما حقق النصر وفتك بالأعداء ، وكثيراً ما رجع جيشه من المعارك ، وقد خفقت راياته ، وعلت هماماته وهو بذلك لا يتزبد ، إنما يوفيه حقه .

وفي ثانيا النص ينحي باللائمة على بعض حلفائه الذين غدروا به وتخلوا عنه ويخصهم بصفات الغش ، والدغل والحقْد ، وما أضمره له من ختل ومواربة وخداع وأنهم تركوه فردا يواجه مصيره وما آل إليه من خزي ومزعة .

وعلى المستوى الأسلوبي تتضح من خلال القراءة أمور منها :

- التنوع الملموس بين الخبر والإنشاء مثللاً في :
- صيغ الأمر في قوله : سكن فؤادك - اصبر - أجب نداء ، وهي صيغ أريد بها الالتماس وطلب العفو .
- صيغ النداء مثل : يا ضيغماً مولاي ، والتي أريد به التعظيم والإشادة .
- أمّا الخ ، في قوله : رضاك راحة نفسي ، وفي قوله : إنما أنا ساع في رضاك ، فالغرض منه التقرير والتعني .

وفي الأبيات صور جمالية تناسب الجو (النفسي) للأبيات :

- الاستعارة في قوله : لا تذهب بك الفكر .

- وفي قوله : أودى بها السهر .

- والتشبيه في قوله : إني الناب والظفر .

فضلا عما في النص من محسنات لفظية أسهمت في إبراز المضمون

وعاطفة الشاعر، كالطباق بين : نصح ، وغش ، وبين : نفع وضرر ، وبين :

وفي وغدر .

وحسن (التقسيم) (البين) في قوله :

قوم نصيحتهم غش وصدقهم مين

ونفعهم إن صرفوا ضرر

وقد وفق في اختيار البحر البسيط ليقع على تفعيلاته أنغام قصيدته

فضلاً عن دقته في اختيار حرف الروي الراء المضمومة وما تحمل من دلالة

صوتية تناسب حالته السيئة إثر الهزيمة .

إن القراءة الأولى أو الثانية قد لا تكشف لك مكنونات الأسلوب

وخبايا النص وقد لا تتبين لك أبعاد القصيد وحدوده إلا بعد الروية

والتلقي وما يصحبهما من إمعان الفكر ، وعندئذ تتكشف لك خارطة

النص ومعالمه ، والعناصر التي شكلت بنيته .

الفصل الثالث

دراسة نظيرية

عبر هذه الصفحات التالية تتناول عددا من النصوص تم اختيارها بعناية ونقدم لها ما توصلنا إليه من قراءات : تواصلية أو سوسيونقدية أو إسلامية حسب طبيعة النص أو ما نراه مناسبا .

خطوات على الأعراف :

سعد مصلوح

طال السرى وخطاك ترتجف	وأراك لا تلـوي ولا تقف
يا أيها المزجي مطـيته	في حيث لاماء ولا علف
أقصر فدونك قنّة صعد	وانظر فتحتك هـوة جـرف
دنياك تشنا كل عارفة	ولها بكل نقيصة شفف
جاوزت في عميائها زمنا	قوما على أصنامهم عكفوا
وبها تورك - غير مكثرت -	الكارثان : الجهل والصلف
أحرارها أنضاء معركة	أبطالها الأنكاس والكشف
فرايت ثم رأيت خارقة	أن راح يرشح صخر كالحزف
وشهدت سابقهم على ظلع	وسعت ناعقهم ومن هتفوا
وعجبت كيف يزين بهرجه	زور المقال وبأثم الحلف
والباز كيف يبزه رخـم	والدر كـيف يعزه الصدف
أوصت بنا الأيام مشبهها	ووصائهن الإثم والجنف

نكتالها بيد مطرفة	قد أخسرت ومكيلها الحشف
الله في أرض معانقة	نهر الجنون رياضها الأنف
حتى إذا بأجوجها تسلت	ووراءها مأجوجها ردفوا
تثلي جبراء الشر نابحة	وتصول فيها خيلها العجف
جن الحجا فدعا مؤذنه	ويل لمن عرفوا وما اغترفوا
فالواردوه لهم مسهلة	أوعارها وتوطأ الكنف
ركبوا معارجها وقد جعلت	ليوتهم من فضة سقف
يا أيها المغضي على حسك	قلبا يذوب ودمعة تكيف
شارفت ياء العمر فانبعثت	ذكر يجر نظيمها الألف
ترجو غدا؛ وغد مخدرة	قد أرخيت من دونها السجف
خفيت فلا هي كاعب غنج	يدري بها أم عاقر نصف
ماذا ترى يجديك إن رجفت	منك الخطأ وتحير الهدف؟
أمعاندا والقول مستبق؟	رفع اليراع وجفت الصحف
أمس انقضى، واليوم سائحة	وغد به للخير مزدلف
وطئت خطاك الشوك محتفيا	ما غرما لين ولا شظف
وجبلت عزا لا يهون به	يعلو العلاء ويشرف الشرف

تلك الحياة سرورها خلس تمضي وجزل عطائها تنف
كم ذا أسفت وكم ندمت لها فاليوم لا ندم ولا أسف
فلقد عرفت قديم عاداتها وجهلت أنى تؤكل الكتف

- حَسَبَكَ : شوك
- ظَلَع : ميل وضعف
- برضخ : يكسر
- تورك : جلس وتربع
- نَصَفَ : في منتصف العمر
- الأعراف : الأرض أو الثمار
- تشلي : ترى

❖ مجلة الشعر : العدد ١٤٠ شتاء ٢٠١١ م.

الدكتور

محمد عبد العزيز مصلوح

ولد عام ١٩٤٣ من مواليد منسفيش في محافظة النجف. حصل على ليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٦٣ وعلى الماجستير من نفس الكلية ١٩٦٨ ، والدكتوراه من جامعة موسكو ١٩٧٥. عمل معيداً بكلية دار العلوم ١٩٦٤ ، فمدرساً مساعداً ، فمدرساً ١٩٧٥ ، بعدما أستاذاً مساعداً ١٩٨٠ ، ثم أستاذاً بكلية الآداب فرع بني سويف ١٩٩٢ ، وقد عمل أثناء ذلك أستاذاً مشاركاً في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز ١٩٨٠ ، وخبيراً بمعهد الخرطوم الدولي المنظمة العربية. ثم أستاذاً بكلية تربية الأساسية بدولة الكويت حالياً أستاذ بكلية الآداب جامعة الكويت.

مؤلفاته:

الشاعر والكلمة :

- مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام .
- دراسة السمع والكلام .
- حازم القرطاجني .
- المسلمون بين المطرقة والسندان .
- الشعر العربي الحديث.
- دراسات نقدية في اللسانيات المعاصرة .

- الأسلوب - في النص الأدبي.
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية.
- نحو العربية (مع عبد اللطيف الخطيب) - التدريب اللغوي (مع عبد اللطيف الخطيب) اتجاهات البحث اللساني (ترجمة مع ود وفاء كامل فايد) نحو أجرومية للنص الشعرية.
- حصل على الجائزة الأولى في المسابقة الأدبية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧١. حصل الدكتور سعد مصلوح علي جائزة الشيخ زايد للكتاب في فرع الترجمة عن كتابه "في نظرية الترجمة اتجاهات ٢٠٠٩".
- ممن كتبوا عن شعره وأطروحاته العلمية:
- مازن الوعر، محمد شفيع السيد، صلاح فضل، عبد الفني الغدامي، محمد مندور، مصطفى عبد اللطيف السحرتي وقال عنه د. إيهاب : إن د.سعد مصلوح آخر أحفاد شوقي .

قراءة النص :

أبيات الشاعر للقراءة الأولى تشي بمعاناته في حياته ، وما لقيه فيها من عنت ونصب ، وأنه لقي من دنياه ما جعله يتبرم ، وبأسف حين لا أسف :
 كم ذا أسفت وكم ندمت لها فاليه لا ندم ولا أسف
 ويبدو أنه قد عاش عمره طيب القلب حسن السريرة ، حسن الظن بالأصدقاء والناس من حوله ، فهاله مما لقي من لجاج وجدل وختل وخداع وتبين له أنه لم يعرف من أين تؤكل الكتف :

فلقد عرفت قديم عاداتها وجهلت أنى تؤكل الكتف

ويعجب الشاعر من صولة الجهل والظلم ، ولعله يقصد ما يشاهده في أحداث العالم من ظلم وتعد وعدوان من دولة على أخرى ، أو لعله يلمح إلى مالفية من ظلم وما صادفه من جهل الجاهلين وعدوان الظالمين ، وربما هذا وذاك معا ، فإذا كانت هذه الأيام قد انصرمت بما تحمل في طياتها من جور وعنت ، فإنه يأسى على عمر تولى وصار يعيش في يائه بعد أن عانى من الله :

ياأيها المغضي على حَسَكِ	قلبا يذوب ودمعة تكيف
شارفت ياء العمر فانبعثت	ذَكَرُ يجر نظيمها الألف
ترجو غدا ؛ وغد مخدرة	قد أرخيت من دونها السجف
خفيت فلا هي كاعب غنج	يدري بها أم عاقر نصف
ماذا ترى يجديك إن رجفت	منك الخطأ وتحير الهدف؟
أمعاندا والقول مستبق؟	رفع اليراع وجفت الصحف
أمس انقضى ، واليوم ساغة	وغد به للخير مزدلف
وطئت خطاك الشوك محتفيا	ما غرها لين ولا شظف
وجبلت عزا لا يهون به	يعلو العلاء ويشرف الشرف

ثم يعجب الشاعر من دنياه كيف ضاع الحق واختلطت الأمور
فالزور هو زينة الدنيا ويهرجها ، ويأسى الشاعر لتردي الأمور وانقلاب
الأوضاع ، فإذا صغار الطير تزري بالباز وتقلل من شأنه ، والصدف يسمو
بقامته على الدر تيهها وعجبا وتفاخرا .

وعجبت كيف يزين بهرَجَه زور المقال ويأثم الحلف
وبالاز كيف يَبْزُهُ رَخْمُ والدُرُ كيف يَعْزُهُ الصَّدْفُ
لذا فقد حار امره في دنياه العجيبة ، وصار لا يدري كنهها ، فلا هي
كاعب حسناء ولا هي عاقر نصف .

خفية، فلا هي كاعب غنج يدري بها أم عاقر نصف
ولأنه عانى كثيرا فقد أكسبته المعاناة حنكة ودراية وتركت في نفسه
انطبعا عن الدنيا لذا يورد الحكمة ناصحا غيره في قوله :

تلك الحياة سرورها خلّس تمضي وجزل عطائها تنف
سرور الدنيا يأتي خلصة ويمضي سريعا ، وما فيها من عطاء كثير
لا يصل الإنسان إلا قطعا صغيرة حتى يضيع معناه فلا يكاد المرء يشعر به .
والشاعر إذ يبين هذه الأمور فإنما يلمح في قصيده التناص مع أي
القرآن الكريم ومحكم التنزيل ففغنا نلمح التناص الجميل في قوله :

أَوْصَتْ بِنَا الْأَيَّامُ مُشَبَّهًا وَوَصَّاهُنَّ الْإِثْمُ وَالْجَنَفُ
نَكَتَالَهَا يَيْدٌ مُطَفَّرَةٌ قَدْ أَخْسَرَتْ وَمَكِيلُهَا الْحَشَفُ
اللَّهُ فِي أَرْضٍ مَعَانِقَةٍ نَهَرَ الْجَنُونَ رِيَاضُهَا الْأُنْفُ

حتى إذا بأجوجها نَسَلت ووراءها مأجوجها رَدِفوا
في مأخوذة من قول الله تعالى :

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسَى جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ...﴾

[البقرة: ١٨٢]

وقوله :

﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ②﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ
أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ ﴿[المطففين: ١-٣]

وقوله تعالى :

﴿حَقُّ ٣ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ④﴾

[الأنبياء: ٩٦]

أما مفتتح القصيدة فما أروع ! بدأ القصيد متكئا على استخدام
الفعل الماضي بما يحمل من تحسر وألم في قوله (طال) مشيرا إلى المسير
وليس مسيرا مريحا في النهار إنما هو السير ليلا ، وكأن دنيا الشاعر وسيره
فيها كان موحشا مظلما .

ثم جاء النداء منيها متحسرا في البيت الثاني يتلوها الأمر في البيت
الثالث (أقصر) منظومة من الأساليب جعلت من افتتاحية القصيدة مثيرا
ومنيها للقارئ ، انظر إلى مفتتح النص (الرائع :

طال السرى وخطاك ترتجف وأراك لا تلوي ولا تقف
يا أيها المزجي مظيئه في حيث لاماء ولا علف
أقصر فدونك قنة صعد وانظر فتحتك هوة جرف

أما مظاهر الجمال ففيها من الخيال (الرائي ما يأخذ الأبواب مثل) :
دنياك تشنأ كل عارفة ، وهو تصوير استعاري .
ولها بكل نقيصة شغف ، تصوير استعاري .
قوما على أصنامهم عكفوا على سبيل الكناية .
ومن الحسنات (البريعة الجميلة) :
التوشيع في قوله ، (الكارثان : الجهل والصلف)
والطباق في قوله ، (أبطالها الأنكاسُ والكشْف)
واختيار البحر الشعري يدلان على اكتمال التجربة واستوائها في نفس
الشاعر ؛ إذ اختار لها الملل وزنا ، وجعل رويها الفاء المضمومة بما يحمل هذا
الحرف المضموم من فخامة وعلو جرس .

(أنا و ليلي)

الشاعر المبدع حسن المرواني

يا ليلي كثيرا ما يسألوني ما دامت قد رفضتك

لماذا لا تبحث عن واحدة أخرى؟؟؟؟؟؟

أتدري ما كنت أقول لهم ؟!!!!

لا بأس أن أشق مرتين

لا بأس أن أموت مرتين

ولكني ويكل ما يجيده الأطفال من إصرار

أرفض أن أحب مرتين

دَعْ عَنْكَ لَوْمِيْ وَأَعْرِفْ عَنْ مَلَامِيْ

إِنِّيْ هَوَيْتُ سَرِيْعاً مِنْ مُّعَانَاتِيْ

دِينِي الْغَرَامُ وَ دَارُ الْعِشْقِ مَمْلَكَتِيْ

قَيْسُ أَنَا وَ كِتَابُ الشَّعْرِ تَوْرَاتِيْ

مَا حَرَّمَ اللهُ حُباً فِيْ شَرِيْعَتِهِ

بَلْ بَارَكَ اللهُ أَحْلَامِي الْبَرِيَّاتِ

أَنَا لَمِِنْ طَيِّئَةٍ وَاللَّهُ أَوْدَعَهَا
رُوحًا تَرِفُ بِهَا عَذْبُ الْمُنَاجَاةِ
دَعِ الْعِقَابَ وَلَا تَعْذُلْ بِفَائِتَةٍ
مَا كَانَ قَلْبِي نَحِيْتُ مِنْ حِجَارَاتِ
إِنِّي بَغِيرِ الْحُبِّ أَخْشَابُ يَابِسَةٌ
إِنِّي بَغِيرِ الْهَوَى أَشْبَاهُ أَمْوَاتِ
إِنِّي لَفِي بَلَدٍ أَمْسَى بِسِيرِهَا
ثُوبُ الشَّرِيعَةِ فِي مَحْرَقِ عَادَاتِي
يَا لِلتَّعَاسَةِ مِنْ دَعْوَى مَدِينَتِنَا
فِيهَا يَعْدُ الْهَوَى كِبَرَى الْخَطِيئَاتِ
نَبْضُ السُّوْبِ مَوْزِقٌ عَنْ قَدَاسَتِهَا
تَسْمَعُ فِيهَا أَحَادِيثَ أَقْوَالِ الْخِرَافَاتِ
عِبَارَةٌ عُلِقَتْ فِي كُلِّ مَنْعُطٍ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تِلْكَ أَحْمَاقَاتِ
عَشْقُ الْبَنَاتِ حَرَامٌ فِي مَدِينَتِنَا
عَشْتِ الْبَنَاتِ طَرِيقٌ لِلْغَوَايَاتِ

إياك أن تلتقي يوماً بامرأة
إياك إياك أن تغري الحبيبات
إن الصبابة عارٌ في مدينتنا
فكيف لو كان حبي للأميرات؟



سمراء ما كان حزني عمراً أبدؤه
ولكني عاشقٌ و الحبُّ مأساتي
الصبح أهدى إلى لأزهارِ قبلتهُ
و العلقمُ المرقدُ أمسى بكأساتي
يا قبلةُ الحبِّ يا من جئت أنشدُها
شعراً لعل الهوى يشفي جراحاتي
ذوت أزهار روعي و هي يابسة
ماتت أغاني الهوى ماتت حكاياتي
ماتت بمحراب عينيك ابتهالاتي
و استسلمت لرياح اليأس راياتي
جفت على بابك الموصود أزمنتني

ليلي و ما أثمرت شيئا نداءاتي
أنا الذي ضاع لي عامان من عمري
و باركت وهمي و صدقت افتراضاتي
عامان ما لاف لي لحن على وتر
و لا استفاقت على نور سماواتي
اعتق الحب في قلبي و أعصره
فأرشف الهم في مغبر كاساتي
و أودع الورد أتعابي و أزرعه
فيورق شوكا ينمو في حشاشات
ما ضر لو عانق النيروز غاباتي
أو صافح الظل أوراق الحزينات
ما ضر لو أن كف منك جاءتنا
بحقد تنفض آلامي المريرات



سنينُ تسعُ مضتُ و الأحزانُ تسحقنيُ
و ميتُ حتى تناستني صباياتيُ

تسعُ على مركبِ الأشواقِ في سفرِ
و الريح تعصف في عنفِ شراعاتِ
طال انتظاري متى كركوك تفتح لي
دربا إليها فأطفي نار آهاتي
متى ستوصلني كركوك قافلتني
متى ترفرف يا عشاق راياتي
غدا سأذبح أحزاني و أدفنها
غدا سأطلق أنغامي الضحوكاتِ
ولكن نعتني للعشاق قاتلتي
إذا أعقبت فرحي شلال حيراتِ
فعدت أحمل نعل الحب مكتئبا
أمضي البوادي و أسماري قصيداتي
ممزق أنا لا جاء و لا ترف
يفريك في فخليني لآهاتي
لو تعصرين سنين العمر أكملها
لسال منها نزيف من جراحاتي

كل القناديل عذبٌ نورُها وأنا
تظل تشكو نضوب الزيت مشكاتي
لو كنت ذا ترف ما كنت رافضة
حبي...ولكن عسر الحال مأساتي
فليمضغ اليأس أمالي التي يبست
و ليفرق الموج يا ليلي بضاعاتي



أمشي و أضحك يا ليلي مكابرةً
علي أخبي عن الناس احتضاراتي
لا الناسُ تعرف ما خطبي فتعذرني
و لا سبيل لديهم في مواساتي
لاموا افتتاني بزرقاء العيون ولو
رأوا جمال عينيك ما لاموا افتتاناتي
لو لم يكن أجمل الأول - أزرقها
ما اختاره الله لونا للسموات



يرسو بجفني حرمان يمص دمي
و يستبيح إذا شاء ابتساماتي
عندي أحاديث حزن كيف أسطرها
تضيّق ذرعا بي أو في عباراتي
يتزلّ من حرقتي الدمع فأسأله
لمن أبث تباريحي المريضات
معذورة أنت إن أجهضت لي ألمي
لا الذنب ذنبك بل كانت حماقاتي
أضعت في عَرْضِ الصحراء قافلتني
وجئت أبحث في عينيك عن ذاتي
وجئت أحضانك الخضراء منتشياً
كالطفل أحمل أحلامي البرئات
أتيت أحمل في كفي أغنية
أجترها كلما طالت مسافاتي
حتى إذا انبلجت عيناك في أفق
و طرز الفجر أيامي الكئيبات

غرست كفك تجتثين أوردتي
وتسحقين بلا رفق مسراتي



واغرنتاه... مضاع هاجرت سفني
عني وما أبحرت منها شراعاتي
نفيت واستوطن الأعراب في بلدي
ومزقوا كل أشيائي الحبيبات
خانتك عيناك في زيف و في كذب؟
أم غرك البهرج الخداع..مولاتي؟
توغلي يا رماح الحقد في جسدي
ومزقي ما تبقى من حشاشاتي
فراشة جئت ألقى كحل أجنحتي
لديك فاحترقت ظلماً جناحاتي
أصيح والسيف مزروع - صرتي
والقدر حطم أمالي العريضات



هل ينمحي طيفك السحري من خلدي؟

و هل ستشرق عن صبح وجناتي؟

ها أنت أيضا كيف السبيل إلى

أهلي ودونهم قفر المفازات؟

كتبت في كوكب المريخ لافتة

أشكو بها الطائر المحزون آهاتي

وأنت أيضا ألا تبت يدالك إذا

آثرت قتلي واستعذبت أناتي

من لي بحذف اسمك الشفاف من لغتي

إذا ستمسي بلا ليلي حكاياتي

إذا ستمسي بلا... ليلي حكاياتي



هذه الأبيات الرائعة التي كتبها الشاعر حسن المرواني تبين في جلاء ووضوح عن شاعرية دفاقة وحس مرهف، وللقصيدة قصة ومناسبة نوجزها قبل أن نبدأ في قراءتها: حسن المرواني شاب من أهالي الزعفرانية وهي منطقة من مناطق بغداد وهو شاب رزين خلوق، من أسرة فقيرة، التحق بكلية الآداب جامعة بغداد وخلال دراسته فيها تعلق قلبه بفتاة فاتنة من

محافظة كركوك وتدعى (سندس)، لذا فاسم (ليلي) كنية عن فتاته وصارحها بحبه فوجد منها إعراضا وصدودا فلم ييأس وعاود الكرة معها بعد عامين وعادت وصدته ، فأثارت شجونه وحركت أحاسيسه فتفجرت شاعريته ، ولما خطبت الفتاة لشخص غني منتسب إلى نفس الكلية أحس بجرح نافذ ، وقهر شديد ، فكتب هذه القصيدة التي تفيض بمشاعر الأسى والإحساس بالغبن ، وألقاها مكسر القلب فائض الشاعرية في إحدى قاعات كليه الآداب وكانت سندس موجودة وعند انتهائه من القصيدة خرجت سندس من القاعة مسرعة تبكي وطالب الحضور من الشاعر إعادتها فوافق بشرط أن تعود سندس إلى القاعة وفعلا أقنعوها وعادت وألقاها مرة أخرى .

ولجمال القصيدة وروعها غناها المطرب العراقي (كاظم الساهر) الذي عانى كثيرا حتى وصل إلى مؤلف القصيدة ، وللطريقة التي حصل بها كاظم على هذه القصيدة قصة مفادها أنه في فترة الثمانينات كانت تصدر جريدة شبابية الأكثر انتشارا في الوسط الشبابي في العراق وكانت متميزة في كل شيء وكانت من ضمن صفحات هذه الجريدة صفحة للمساهمات الشعرية وفي أحد الأعداد تضمنت هذه القصيدة فوقعت العين الساهرية على هذه الكلمات الرائعة فأخذ بالبحث عن قائلها وكثرة مدعي كتابتها لجاء كاظم الساهر إلى طريقة (أكمل القصيدة) وكل من ادعى كتابتها لم يستطع إكمالها حتى وصل إلى كاتبها الحقيقي وهو الشاعر المبدع (حسن المر وائي)

وجدير بالذكر أن الذي ساعد كاظمًا في الوصول إلى الشاعر الحقيقي هو (ابن خالة الشاعر) الذي كان يعمل حينها في مجال التدريس في ليبيا .
وهكذا قضى كاظم ٨ ثماني سنوات يشدو بكلماتها بينه وبين نفسه
وينوع في لحنها إلى أن وصل إلى صاحب القصيدة فثبت على اللحن الرائع
الذي نسمعه الآن .

قراءة النص :

يذكرنا الشاعر المرواني في هذه القصيدة بالعراء العذرين ، ذلك أنني
بعد قراءتي الأولى للأبيات حسبته واحدا من بني عذرة قد بعث من جديد إذ
تتضح في ثنايا الأبيات ملاقاه شاعرنا من آلام الجوى وتباريح النوى ، ورياح
الصد العاتية التي أدمت فؤاده وتركت فيه جرحا غائرا ، ماائفك ينزف كلما
ذكر اسم فتاته التي هام بها ، يشي بذلك خاتمة الابيات التي يتسائل فيها
(هل ينمحي طيفك السحري من خلدي؟)وهو يعلم جيدا أن الاستفهام
غرضه النفي ، فهو يقر دون أن يدري أنها معه لا تنمحي من ذكره ، يقول :

هل ينمحي طيفك السحري من خلدي؟

و هل ستشرق عن صبح وجناتي؟

ها أنت أيضا كيف السبيل إلى

أهلي ودونهم قفر المفازات؟

كبت في كوكب المريخ لافتة

أشكو بها الطائر المحزون آهاتي
وأنت أيضا ألا تبت يدالك إذا
آثرت قتلي واستعذبت أناتي
من لي بحذف اسمك الشفاف من لغتي
إذا ستمسي بلا ليلي حكاياتي
إذا ستمسي بلا.. ليلي حكاياتي
في الجزء الأول من القصيدة يشكو الشاعر مدينته التي حرمت عليه
وعلى أمثاله من الشباب عشق الفتيات ، فالعشق في ديدن مدينه رجس من
عمل الشيطان ، يقول :

يا للتعاسة من دعوى مدينتنا
فيها يعد الهوى كبرى الخطيئات
نبض القلوب مورك عن قداستها
تسمع فيها أحاديث أقوال الخرافات
عبارة عُلِقَتْ في كل منعطف
أسود بالله من تلك الحماقات
عشق البنات حرام في مدينتنا
عشق البنات طريق للغوايات

إياك أن تلتقي يوماً بامرأة

إياك أن تفري الحبيبات

إن الصبابة عارٌ في مدينتنا

فكيف لو كان حبي للأميرات؟

ثم ينثني والها مكسور الوجدان يخاطب فتاته في ضراعة المحب الوامق
معاتباً إياها مبيناً أنها بهذا الصدود أمانت أزهار الحب التي غرسها في قلبه
ورواها وفاته وإخلاصه لها ن فضاغت ابتهالاته ، واستسلم لرياح (ليأس)
(الغالية :

سمراء ما كان حزني عُمرأ أبدهُ

ولكني عاشقٌ و الحبُ مأساتي

الصبح أهدى إلى لأزهارِ قبلتهُ

و العلقمُ المرقدُ أمسى بكأساتي

يا قبلهُ الحبيب يا من جئت أنشدُها

شعراً لعل الهوى يشفي جراحاتي

ذوت أزهار روعي و هي يابسة

ماتت أغاني الهوى ماتت حكاياتي

ماتت بمحراب عينيك ابتهالاتي

و استسلمت لرياح اليأس راياتي

جفت على بابك الموصود أزمنتي
ليلي و ما أثمرت شيئا نداءاتي
أنا الذي ضاع لي عامان من عمري
و باركت وهمي و صدقت افتراضاتي
عامان ما لاف لي لحن على وتر
و لا استفاقت على نور سماواتي
اعتق الحب في قلبي و أعصره
فأرشف الهم في مغبر كاساتي
و أودع الورد أتعابي و أزرعه
فيورق شوكا ينمو في حشاشات
ما ضر لو عانق النيروز غاباتي
أو صافح الظل أوراق الحزينات
وما هو يأسى عل السنين التسع التي قضاها بعد صدودها عنه ن ينعي
فيها حظه العاثر ، بعد أن عاش آملا أن تفتح له كركوك أبوابها ، فإذا به
يعود منها حاملا نعيش حبه يتطعم البوادي رحمة ' سامر التصيد ممزقا لا جد
ولا ترف مبينا لها نظرتها المادية الدونية ؛ إذ رفضته لفقره وضيق عيشه ، يقول
لو كنت ذا ترف ما كنت رافضة
حبي...ولكن عسر الحال مأساتي

فإلى متى تظل مشكاته تشكو نضوب الزيت في الوقت الذي تفيض فيه
كل القناديل بنورها العذب ، واستمع إليه في عمق مأساته يقول :
سنينٌ تسعُ مضتُ و الأحزانُ تسحقُنِي
و ميتٌ حتى تناستني صباباتي
تسعُ على مركبِ الأشواقِ في سفرٍ
و الريح تعصف في عنفٍ شراعاتٍ
طال انتظاري متى كركوك تفتح لي
درباً إليها فأطفي نار آهاتي
متى ستوصلني كركوك قافلتني
متى ترفرف يا عشاق راياتي
غدا سأذبح أحزاني و أدفنها
غدا سأطلق أنفامي الضحوكات
ولكن نعتني للعشاق قاتلتي
إذا أعقبت فرحي شلال حيراتٍ
فعدت أحمل نعث الحب مكتئبا
أمضي البوادي و أسماري قصيداتي
ممزق أنا لا جاء و لا ترف
يفريك في فخليني لآهاتي
لو تعصرين سنين العمر أكملها

لسال منها نزيـف من جراحاتي -
كل القناديل عذب نورُها وأنا
تظل تشكو نضوب الزيت مشكاتي
لو كنت ذا ترف ما كنت رافضة
حبي...ولكن عسر الحال مأساتي
فليمضغ اليأس أمالي التي يست
و ليغرق الموج يا ليلي بضاعاتي
ولأن الشاعـر يخشي شماتة الأعداء لما تقول (العرب):

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الأعداء
لذلك فهو يمشي بين الناس مظهرًا يجلده ، يخفي عنهم آلامه وتباريحه
فهم يلومونه ويعتبون عليه افتتانه بعيونها الزرقاء ، وهم معذرون لأنهم لم
يروا جمال عينيها وان الله تعالى عندما أبدع السموات لم يجعل لها إلا اللون
الأزرق لأنه أجمل الألوان :

لاموا افتتاني بزرقاء العيون ولو
رأوا جمال عينيك ما لاموا افتتاني
لو لم يكن أجمل الألوان أزرقها
ما اختاره الله لونا للسموات
وفي ختام قصيده يصيح صيحة ألم وحزن بعد أن رحلت سفنه
وهاجرت وصارت ليلاه ملكا لآخر غيره ، بعد أن انخدعت بالبهرج الخداع

والذهب والياقوت ، وهما هو كالفراشة التي حامت حول الضوء حتى
احتترقت به ، وصار يصيح والسيف مغروس بخصرته بعد أن حطم الغدر
كل آماله وتطلعاته يقول :

واغربتاه...مضاعً هاجرتُ سفيني
عني وما أبجرت منها شراعاتي
نفيتُ واستوطنَ الأغرَابُ في بلدي
ومزقوا كل أشياءي الحبيبات
خانتك عيناك في زيفٍ و في كذبٍ؟
أم غرك البهرج الخداع ..مولاتي؟
توغلي يا رماحَ الحقدِ في جسدي
ومزقي ما تبقى من حشاشاتي
فراشةٌ جئتُ ألقى كحل أجنحتي
لديك فاحتترقت ظلماً جناحتي
أصيح والسيف مزروع بخصرتي
والغدر حطم أمالي العريضات

إننا حين نقوم بقراءة هذا النص نلمس جيشان العاطفة وعرامة
الإحساس وتدفعه في مفردات وعبارات النص ، وهذا الحشد الهائل من
الصور والمحسنات نراها ماثلة في قوله :

- الصبابة عار ، تشبيه بليغ

- الصبح أهدى إلى الأزهار قبلته ، استعارة مكنية
 - لعل الهوى يشفي جراحاتي ، استعارة مكنية
 - جفت على بابك الموصود أزمنتني ، جفت أزمنتني : استعارة مكنية
 - أرشف الهم ، استعارة مكنية
 - تسع على مركب الأشواق في سفر ، مركب الأشواق تشبيه بليغ
 - غدا سأذبح أحزاني وأدفنها ، استعارة مكنية
 - عدت أحمل نعش الحب ، نعش الحب تشبيه بليغ
 - لو تعصرين سنين العمر ، استعارة مكنية
 - توغلي يا رماح الحقد في جسدي ، رماح القد تشبيه بليغ
 - الغدر حطم آمالي ، استعارة مكنية
- ومن الأساليب (الإنشائية) :
- يا للتعاسة من دعوى مدينتنا نداء غرضه التعجب
 - متى ترفرف يا عشاق راياتي ؟ يفيد التمني
 - هل ينمحي طيفك السحري من خلدي ؟ استفهام يفيد النفي
 - هل ستشرق عن صبح وجنات ؟ استفهام غرضه التمني

فهم

البردة أحمد شوقي

تنويه : (أثرت هنا أن أورد القصيدة كاملة لما فيها من متعة وجمال
وشفيعي في ذلك أنها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فليعذرني
القارئ المحترم)

رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
حَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
رَمَى الْقَضَاءُ بَعَيْنِي جُؤْذِرَ اسَدًا
يَا سَاكِنَ الْقَاعِ أَدْرِكْ سَاكِنَ الْأَجَمِ
لَمَّا رَنَّا حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً
يَا وَيْحَ جَنَبِكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
جَحَدْتُهَا وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَيْدِي
جُرحُ الْأَحْبَبَةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمِ
رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقِ
إِذَا رُزِقْتَ الْيَمَاسَ الْعُذْرَ فِي الشَّيْءِ
يَا لَائِمِي فِي هَوَاهُ وَالْهَوَى قَدَرٌ

لَوْ شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تُعْزِلْ وَلَمْ تُلْمِ
لَقَدْ أَتَلْتُكَ أَذُنًا غَيْرَ وَاعِيَةٍ
وَرُبُّ مُنْتَصِرٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمٍ
يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ لَا دُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا
مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمِ
أَفْدِيكَ إِلْفًا وَلَا آلُو الْخِيَالَ فِدَى
أَغْرَاكَ بِالْبُخْلِ مَنْ أَغْرَاهُ بِالْكَرَمِ
سَرَى فَصَادَفَ جُرْحًا دَائِمِيًا فَأَسَا
فَضَلَّ عَلَى الْعُشَّاقِ لِلْحُلُمِ
مَنْ الْمَوَائِسُ بَائِنًا بِالرُّبَى وَقَنَا
بَاتُ يَرْوِحِي الْمَافِحَاتُ دَمْسِي
السَّافِرَاتُ كَأَمْثَالِ الْبُيُودِ ضُحَى
يُغَرِّنُ شَمْسُ الضُّحَى بِالْحَلِيِّ وَالْعَصَمِ
الْقَاتِلَاتُ بِأَجْفَانٍ بِهَا سَقَمٌ
وَلِلْمَنْزِيَةِ أَسْبَابٌ مِنَ السَّقَمِ
الْمَائِرَاتُ بِالْبَابِ الرِّجَالِ وَمَا
أَقْلَنَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّلِّ فِي الرَّسَمِ
الْمُضَرِمَاتُ خُدُودًا أَسْفَرَتْ وَجَلَّتْ

عَنْ فِتْنَةٍ تُسَلِّمُ الْأَكْبَادَ لِلضَّرَمِ
 الْحَامِلَاتُ لِوَاءِ الْحُسْنِ مُخْتَلِفًا
 شِكَاْلُهُ وَهُوَ قَرْدٌ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ
 مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ أَوْ سَمَرَاءٍ زَيْنَتَا
 لِلْعَيْنِ وَالْحُسْنُ فِي الْأَرَامِ كَالْعُصَمِ
 يُرْعَنُ لِلْبَصْرِ السَّامِي وَمِنْ عَجَبِهِ
 إِذَا أَشْرَنَ أَشْرَنُ اللَّيْثِ بِالْعَنَمِ
 وَضَعْتُ خُدْيَ وَقَسَمْتُ الْفُؤَادَ رُبِّي
 يَرْتَعَنُ فِي كُنْهِ مِنْهُ وَفِي أَكْمِ
 يَا بِنْتَ ذِي اللَّيْلِ الْمُحَمِّي جَانِبُهُ
 الْقَالِكُ فِي الْفَابِ أَمْ الْقَالِكُ فِي الْأُطْمِ
 مَا كُنْتُ أَعْلَمُ حَتَّى عَمَّنْ مَسْكَنُهُ
 أَنَّ الْمُنَى وَالْمَنَايَا مَضْرِبُ الْخَيْمِ
 مَنْ أَنْبَتَ الْغُصْنَ مِنْ صَمَامَةٍ دُكْرِ
 وَأَخْرَجَ الرِّيمَ مِنْ ضِرْغَامَةٍ قَسْرِمِ
 بَيْنِي وَبَيْنُكَ مِنْ سُمْرِ الْقَنَا حُجْبُ
 وَمِثْلُهَا عِفَّةٌ عُذْرِيَّةُ الْعِصَمِ

لَمْ أَغْشَ مَغْنَاكَ إِلَّا فِي غُضُونِ كِرَى
مَغْنَاكَ أَبْعَدُ لِلْمُشْتَاكِ مِنْ إِرَمِ
بِأَنْفَسِ دُنْيَاكَ تُخْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ
وَأِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا حُسْنُ مُبْتَسِمِ
فُضِّي بِتَقْوَالِكَ فَأَمَّا كُلُّ مَا ضَحِكْتَ
كَمَا يَفُضُّ أَذَى الرِّقْشَاءِ بِالثَّرَمِ
مَخْطُوبَةٌ مُنْذُ كَانَ النَّاسُ خَاطِبَةً
مِنْ أَوَّلِ الذَّهْرِ لَمْ تُرْمِلْ وَلَمْ تَنْمِ
يَفْنِي الزَّمَانُ وَيَبْقَى مِنْ إِسَاءَتِهَا
جُرْحٌ بِأَدَمَ يَبْكِي مِنْهُ فِي الْأَدَمِ
لَا تَحْفَلِي بِجَنَاهَا أَوْ جَنَائِثِهَا
الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحْمِ
كَمْ نَائِمٌ لَا يَرَاهَا وَهِيَ سَاهِرَةٌ
لَوْ لَا الْأَمَانِيُّ وَالْأَحْلَامُ لَمْ يَنْمِ
طُحُورًا تَمُذُّكَ فِي نَعْمَى وَعَافِيَةٍ
وَتَارَةً فِي قَرَارِ الْبُؤْسِ وَالْوَصَمِ
كَمْ ضَلَّلْتَكَ وَمَنْ تُحْجَبُ بِصِيرْتُهُ

إِنَّ يَلْقَ صَابَا يَرِدُ أَوْ عِلْفَمَا يَسْمُ
 يَا وَيْلَتَاهُ لِنَفْسِي رَاغَهَا وَدَمَاهَا
 مُسَوَّدَةٌ الصُّحُفِ فِي مُبَيَضَّةِ اللَّمَمِ
 رَكَضَتْهَا فِي مَرِيعِ الْمَعْصِيَاتِ وَمَا
 أَخَذَتْ مِنْ جَمِيعَةِ الطَّاعَاتِ لِيَلْتَحِمَ
 هَامَتَ عَلَى أَكْرِ اللَّذَاتِ تَطْلُبُهَا
 وَالنَّفْسُ إِنْ يَدْعُهَا دَاعِي الصَّبَا تَهْمُ
 صَلاَحُ أَمْرِكَ لِأَخْلَاقٍ مَرَجِعُهُ
 فَقَوْمِ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ
 وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَاقِبَةٍ
 وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ
 تُطْفِئُ إِذَا مُكِّنْتَ مِنْ لَذَّةٍ وَمَوَى
 طَفِيَ الْحَيَاةُ إِذَا عَضَّتْ عَلَى الشُّكْمِ



إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلُ
 فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرِ مُعْتَصِمِ

ألقى رجائي إذا عَزَّ المُجِيرُ عَلَى
مُفَرِّجِ الْكَرْبِ فِي الدَّارَيْنِ وَالْغَمِّ
إِذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الدُّلِّ أَسْأَلُهُ
عِزَّ الشَّفَاعَةِ لَمْ أَسْأَلْ سِوَى أَمِّمٍ
وَإِنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ
قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عِبْرَةَ النَّدَمِ
لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ
يُمْسِكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَغْتَنِّمِ
فَكُلُّ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَعَارِفَةٍ
مَا بَيْنَ مُسْتَلِيمٍ مِنْهُ وَمُلْتَزِمِ
عَلَّقْتُ مِنْ مَدَجِهِ حَبْلًا أَعَزُّ بِهِ
فِي يَسُومٍ لَا عِزًّا بِالْأَنْسَابِ وَاللُّحَمِ
يُزْرِي قَسِيضِي زُهَيْرًا حِينَ أَمْدَحُهُ
وَلَا يُقَاسُ إِلَّا جُودِي نَدَى هَرِيمِ
مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ
وَيُغِيَّةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمِ
وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسُلِ سَائِلَةُ

مَتَى الْوُرُودُ وَجِبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَمِي
سَنَّاؤُهُ وَسَنَاءُ الشَّمْسِ طَالِعَةُ
فَالْجِرْمُ فِي فَلَكِ وَالضَّوْءُ فِي عِلْمِ
قَدْ أَخْطَأَ النَّجْمَ مَا نَأَلَتْ أَبْوَتُهُ
مِنْ سُودْدِهِ بِإِذْخِ فِي مَظْهَرِ سَخِمِ
ثُمَّوَا إِلَيْهِ فَزَادُوا فِي الْوَرَى شَرْفًا
وَرُبُّ أَصْلٍ لِفَرْعٍ فِي الْفَخَارِ ثَمِي
خَوَاهُ فِي سُبُحاتِ الطُّهْرِ قَبْلَهُمْ
نُورَانِ قَامَا مَقَامَ الصُّلْبِ وَالرَّجَمِ
لَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرًا قَالَا نَعْرِفُهُ
بِمَا حَفِظْنَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالسَّيِّمِ
سَائِلِ حِرَاءِ وَرَوَّاحِ الْقُدْسِ مَلِّ عِلْمَا
مَصُونٍ سِرِّ عَنِ الْإِدْرَاكِ مُنْكَتَمِ
كَمْ جَيْتَةٌ وَذَهَابٌ شَرِيفٌ بِهِمَا
بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْقَسَمِ
وَوَحْشَةٌ لِلْبَنِّ عَبْدُ اللَّهِ بَيْنَهُمَا
أَشْهَى مِنَ الْإِنْسِ بِالْأَحْسَابِ وَالْحَشَمِ

يُسَامِرُ الْوَحْيَ فِيهَا قَبْلَ مَهْطِهِ
وَمَنْ يُبَشِّرُ بِسَيِّمِ الْخَيْرِ يَتَّسِمُ
لَمَّا دَعَا الصَّحَابُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمَائِهِ
فَاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِيمِ بِالسَّنَمِ
وَوَظَّلَتْهُ فَصَّارَتْ تُسْتَظِلُّ بِهِ
غَمَامَةٌ جَدَّبَتْهَا خَيْرَةُ الدَّيَمِ
مَحَبَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ أَشْرِيهَا
قَعَائِدُ الدَّيْرِ وَالرُّهْبَانُ فِي الْقِمَمِ
إِنَّ الشَّمَائِلَ إِنْ رَقَّتْ يَكَادُيْهَا
يُغْرِي الْجَمَادُ وَيُغْرِي كُلُّ ذِي نَسَمِ
وَنُودِي إِقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا
لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَمِ
هُنَاكَ أَدْنَى لِلرَّحْمَنِ فَاِمْتَسَلَاتِ
أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَةِ النَّفَمِ
فَلَا تَسَلْ عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ حَيْرَتْهَا
وَكَيْفَ تُفَرِّتُهَا فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ
تَسَاءَلُوا عَنْ عَظِيمٍ قَدْ أَلَمَ بِهِمْ

رَمَى الْمَشَايخَ وَالْوِلْدَانَ بِاللَّمَمِ



يَا جَاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي وَدَعْوَتِهِ
هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ؟
لَقُبْتُمُوهُ أَمِينَ الْقَوْمِ فِي صَغَرِ
وَمَا الْأَمِينَ عَلَى قَوْلِ بِمُتَّهِمِ
فَاقِ دُورَ وَفَاقِ الْأَنْبِيَاءِ فَكَمْ
خَلَقٍ وَاخْلُقِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ عَظَمِ

جَاءَ النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ فَبِهِ كَمَتِ
وَجِئْنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
آيَاتُهُ كَمَا طَالَ الْمَدَى جُدُدُ
يَزِينُهُنَّ جَلَالُ الْعِتْقِ وَالْقِدَمِ
يَكَادُ فِي نَفْظَةٍ مِنْهُ مُشْرِفَةٌ
يُوصِيكَ بِالْحَقِّ وَالتَّقْوَى وَيَالرَّجَمِ
يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً
حَدِّثْكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَوَهِمِ

خَلَيْتَ مِنْ عَطَلٍ جِيدَ الْبَيَانِ بِهِ
فِي كُلِّ مُنْتَثِرٍ فِي حُسْنِ مُنْتَظِمٍ
بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
تُحْيِي الْقُلُوبَ وَتُحْيِي مَيِّتَ الْهِمَمِ
سَرَتْ بِشَائِرُ بِالْهَادِي وَمَوْلَاهُ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلَمِ
تَخَطَّفَتْ مُهَجَّ الطَّاغِينَ مِنْ غَرْبٍ
وَطَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْبَاغِينَ مِنْ عُجَمِ
رَبَعَتْ لَهَا شَرَفُ الْإِيوَانِ فَإِنْ صَدَعَتْ
مِنْ صَدْمَةِ الْحَقِّ لَا مِنْ صَدْمَةِ الْقُدَمِ
أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ
إِلَّا عَلَى صَنْمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنْمِ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا مُسَخَّرَةً
بِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَدِّ مُحْتَكِمِ
مُسَيِّطِرُ الْفُرسِ يَبْغِي فِي رَعِيَّتِهِ
وَقَيْصَرُ الرُّومِ مِنْ كِبَرِ أَصَمِّ عَمِ

يَعْتَبِرَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شُبِّهِ
وَيَذَبِحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْفَنَمِ
وَالْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضَعْفِهِمْ
كَالْيَيْسِ بِالْبَهْمِ أَوْ كَالْحَرْتِ بِالْبَلَمِ
أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ
وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ التَّفَقُّوا بِسَيِّدِهِمْ
كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ
صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرِ
وَمَنْ يَفْزِ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمِمِ
جُبَّتِ السَّمَاوَاتُ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
عَلَى مُنَوَّرَةِ دُرِّيَّةِ اللَّجْمِ
رَكُوبَةُ لَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفِ
لَا فِي الْجِيَادِ وَلَا فِي الْأَيْتُنِ الرُّسَمِ
مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي وَصَنَعَتُهُ
وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّلَكِ وَالتُّهَمِ

حَتَّى بَلَغْتَ سَمَاءَ لَا يُطَارُ لَهَا
 عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمٍ
 وَقِيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَبِّهِ
 وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ
 خَطَطْتَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا عُلُومَهُمَا
 يَا قَارِيَّ اللّٰوْحِ بَلْ يَا لَامِسَ الْقَلَمِ
 أَحَطْتَ بَيْنَهُمَا بِالسِّرِّ وَانْكَشَفْتَ
 لَكَ الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكْمٍ
 وَضَائِفَ الْقُرْبُ مَا قُلِدْتَ مِنْ مِّنْ
 بِإِلَإِ عِدَادٍ وَمَا طُوِّقَتْ مِنْ نِّعَمٍ
 سَلْ عُصْبَةَ الثُّرَاثِ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً
 لَّوْلَا مُطَارَدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تُسَمِّ
 هَلْ أَبْصَرُوا الْأَثَرَ الْوَضَاءُ أَمْ سَمِعُوا
 هَمْسَ التَّسَابِيحِ وَالْقُرْ مِنْ أَمِّ
 وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسِجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ
 كَالْغَابِ وَالْحَائِمَاتُ الزُّغْبُ كَالرُّخْمِ

فَأَدْبَرُوا وَوُجَّهَ الْأَرْضِ تَلَعْنَهُمْ
كَبَاطِلٍ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ مُنْهَزِمٍ
لَوْلَا يَسُدُّ اللَّهُ بِالْجَارِينَ مَا سَلِمَا
وَعَيْنُهُ حَوْلَ رُكْنِ الدِّينِ لَمْ يَقُمْ
تَوَارِيَا بِجَنَاحِ اللَّهِ وَاسْتَشَرَا
وَمَنْ يَضُمُّ جَنَاحُ اللَّهِ لَا يُضْمَمُ
يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي
وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي؟
الْمَادِحُونَ وَأَرْبَابُ الْهَوَى تَبِعَ
لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفَيْحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
مَدِيحُهُ فَيْكَ حُبٌّ خَالِصٌ وَهَوَى
وَصَادِقُ الْحُبِّ يُمْلِي صَادِقَ الْكَلَمِ
اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أَعَارِضُهُ
مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ
وَأِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْغَابِطِينَ وَمَنْ
يَغِیْطُ وَلَيْكَ لَا يُذَمُّ وَلَا يُلَمُّ

هَذَا مَقَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مُقْتَبَسٌ
تَرْمِي مَهَابَتُهُ سَحَابَانُ بِالْبَكَمِ
الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفٍ
وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمٍ
ثُمَّ الْجِبَالُ إِذَا طَاوَلَتْهَا انْخَفَضَتْ
وَالْأَنْجُمُ الزُّهُرُ مَا وَاسَمَتْهَا تَسْمِ
وَاللَّيْثُ دُونَكَ بِأَسَا عِنْدَ وَثْبَتِهِ
إِذَا مَشَيْتَ إِلَى شَاكِي السِّلَاحِ كَمِي
تَهْفُو إِلَيْكَ وَإِنْ أَدْمَيْتَ حَبَّتَهَا
فِي الْحَرْبِ أَفِيْدَةُ الْأَبْطَالِ وَالْجُهُمِ
نَحْبَةُ اللَّهِ الْقَامَا وَهَيْبَتُهُ
عَلَى ابْنِ أَمْنَةٍ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ
كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النِّقَمِ بَدْرٌ دُجَى
يُضِيءُ مُلْتَثِمًا أَوْ غَرَّ رُمُلَاتِهِمْ
بَدْرٌ تَطْلُعُ فِي بَدْرِ فَعُرَّتِهِ
كَفَرَّةِ النَّصْرِ تَجْلُو دَاغِي الظُّلَمِ
ذِكْرُكَ بِالْيَتَمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةٌ

وَقِيمَةُ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فِي الْيُتَمِّ
اللَّهُ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ رِزْقَهُمْ
وَأَنْتَ خَيَّرْتَ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْقَسَمِ
إِنْ قُلْتَ فِي الْأَمْرِ «لَا» أَوْ قُلْتَ فِيهِ «نَعَمْ»
فَخَيْرُهُ اللَّهُ فِي «لَا» مِنْكَ أَوْ «نَعَمْ»
أَخْوَاكَ عَيْسَى دَعَا مَيْثًا فَقَامَ لَهُ
وَأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالًا مِنَ الزَّمَمِ
وَالْجَهْلُ مَوْتُ فَإِنْ أَوْتَيْتَ مُعْجِزَةً
فَابْعَثْ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فَابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ
قَالُوا غَمَزَوْتَ وَرُسِلُ الْإِلَهِ مَا بُعِثُوا
لِيَقْتُلَ نَفْسٍ وَلَا جَاؤُوا لِيَسْفِكُوا دَمَ
جَهْلٍ وَتَضْلِيلُ أَحْلَامٍ وَسَفْسَاطَةٌ
فَتَحَتَ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْفَتْحِ بِالْقَلَمِ
لَمَّا أَتَى لَكَ عَفْوًا كُلُّ ذِي حَسَبٍ
تَكَفَّلَ السَّيْفُ بِالْجُهَالِ وَالْعَمَمِ
وَالشَّرُّ إِنْ تَلَقَّاهُ بِالْخَيْرِ ضَيَّقَتْ بِهِ

دُرْعَا وَإِنْ تَلَقَّاهُ بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ
 سَلِ الْمَسِيحِيَّةَ الْفَرَاءَ كَمْ شَرِبْتَ
 بِالصَّابِ مِنْ شَهَوَاتِ الظَّالِمِ الْغَلِيمِ
 طَرِيدَةُ الشِّرْكِ يُؤْذِيهَا وَيُوسِعُهَا
 فِي كُلِّ حِينٍ قِتَالًا سَاطِعَ الْحَدَمِ
 لَوْلَا حُمَاةُ لَهَا هَبَّوْا لِتُنْصِرْتَهَا
 بِالسَّيْفِ مَا انْتَفَعَتْ بِالرِّفْقِ وَالرُّحْمِ
 لَوْلَا مَكَانُ إِيْسَى عِنْدَ مُرْسِلِهِ
 وَحُرْمَةٌ وَجَبَتْ لِلرُّوحِ فِي الْقِدَمِ
 لَعَمَرَ الْبَدَنُ الطُّهْرُ الشَّرِيفُ عَلَى
 لَوْحَيْنِ لَمْ يَخْشَ مُؤْذِيهِ وَلَمْ يَحِمِ
 جَلَّ الْمَسِيحُ وَذَاقَ الصَّلْبَ شَانِئُهُ
 إِنَّ الْعِقَابَ يَقْدِرُ الذَّنْبُ وَالْجُرْمُ
 أَخَوِ النَّبِيَّ وَرُوحُ اللَّهِ فِي ثِيَابِ
 فَوْقَ السَّمَاءِ وَدُونَ الْعَرْشِ مُحْتَرَمِ
 عَلِمْتَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ يَجْهَلُونَ بِهِ

حَتَّى الْقِتَالِ وَمَا فِيهِ مِنَ الدِّمَمِ
 دَعَوْتُهُمْ لِجِهَادٍ فِيهِ سُودُ دُحُمِ
 وَالْحَرْبُ أَسُّ نِظَامِ الْكَوْنِ وَالْأُمَمِ
 لَوْلَاهُ لَمْ تَرَ لِدَوْلَاتٍ فِي زَمَنِ
 مَا طَالَ مِنْ عُمْدٍ أَوْ قَرٍّ مِنْ دُحُمِ
 تِلْكَ الشَّوَاهِدُ تَتَرَى كُلَّ أَوْنَةٍ
 فِي الْأَعْصُرِ الْغُرِّ لَا فِي الْأَعْصُرِ الدُّحُمِ
 بِالْأَمْسِ مَالَتْ غُرُوشٌ وَاعْتَلَتْ سُرُرُ
 لَوْلَا الْبَقَايَا لَمْ تَثْلَمْ وَلَمْ تَصُمِ
 أَشْيَاغُ عَيْسَى أَعْدَوْا كُلَّ قَاصِمَةٍ
 وَلَمْ تُعِدَّ سَوَى حَالَاتٍ مُنْقَصِمِ
 مَهْمَا دُعِيتَ إِلَى الْهَيْجَاءِ قُمْتَ لَهَا
 تَرْمِي بِأَسَدٍ وَيَرْمِي اللَّهَ بِالرُّجْمِ
 عَلَى لَوَائِكَ مِنْهُمْ كُلُّ مُنْتَقِمِ
 اللَّهُ مُسْتَقْتَلٍ فِي سِي اللَّهِ مُعْتَزِمِ
 مُسَبِّحٍ لِلِقَاءِ اللَّهِ مُضْطَّحِمِ

شَوْقًا عَلَى سَابِغِ كَالْبَرْقِ مُضْطَرِمٍ
 لَوْ صَادَفَ الدَّهْرَ يَبْغِي نَقْلَةً فَرَمَى
 يَعْزِمُهُ فِسي رِحَالِ الدَّهْرِ لَمْ يَرِمِ
 بِيَضَ مَفَالِيلُ مِنْ فِعْلِ الْخُرُوبِ بِهِمْ
 مِنْ أَسِيفِ اللَّهِ لَا الْهِنْدِيَّةُ الْخُذْمُ
 كَمْ فِي الثُّرَابِ إِذَا فَتَّشْتَ عَنْ رَجُلٍ
 مَنْ مَاتَ بِالْعَهْدِ أَوْ مَنْ مَاتَ بِالْقَسَمِ
 لَوْ لَا مَوَاهِبُ فِي بَعْضِ الْأَنَامِ لَمَا
 تَفَاوَتْ النَّاسُ فِي الْأَقْدَارِ وَالْقِيَمِ
 شَرِيعَةً لَكَ فَجَّرْتَ الْعُقُولَ بِهَا
 عَنْ زَاخِرِ بَصُوفِ الْعِلْمِ هُلَّتْ طِم
 يَلُوحُ حَوْلَ سَنَا التَّوْحِيدِ جَوْهَرُهَا
 كَالْحَلِيِّ لِلْسَيْفِ أَوْ كَالْوُشِيِّ لِلْعَلَمِ
 غَرَاءُ حَامَتْ عَلَيْهَا أَسْنُ وَتُهَى
 وَمَنْ يَجِدُ سَلْسَلًا مِنْ حِكْمَةٍ يَحْمِ
 نَوْرَ السَّبِيلِ يُسَاسُ الْعَالَمُونَ بِهَا

تَكَفَّلْتُ بِشَبَابِ الدَّهْرِ وَالْهَرَمِ
يَجْرِي الزَّمَانُ وَأَحْكَامُ الزَّمَانِ عَلَى
حُكْمٍ لَهَا نَافِذٌ فِي الْخَلْقِ مُرْتَمِمٌ
لَمَّا اعْتَلَّتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ وَأَثَسَتْ
مَشَتْ مَمَالِكُهُ فِي نُورِهَا التَّمَمِ
وَعَلِمَتْ أُمَّةٌ بِالْقَفْرِ نَازِلَةٌ
رَعَى الْقِيَاصُ بَعْدَ الشَّاءِ وَالنَّعَمِ
كَمْ شَيْءٌ الْمُصْلِحُونَ الْعَامِلُونَ بِهَا
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مُلْكًا بِإِذْنِ الْعَظَمِ
لِلْعِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالتَّمْدِينِ مَا عَزَمُوا
مِنْ الْأُمُورِ وَمَا شَدُّوا مِنَ الْحُزْمِ
سُرْعَانَ مَا فَتَحُوا الدُّنْيَا لِعِلَّتِهِمْ
وَأَنْهَلُوا النَّاسَ مِنْ سُلَالِهَا الشِّبَمِ
سَارُوا عَلَيْهَا هُدَاةَ النَّاسِ فَهِيَ بِهِمْ
إِلَى الْفَلَاحِ طَرِيقٌ وَاضِحُ الْعَظَمِ
لَا يَهْدِمُ الدَّهْرُ رُكْنَ شَادَ عَدْلُهُمْ

وَحَاطِطُ الْبَغْيِ إِنْ تَلَمَّسَهُ يَنْهَهُهُمْ
نَالُوا السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ وَاجْتَمَعُوا
عَلَى عَمِيمٍ مِنَ الرُّضْوَانِ مُقْتَسِمٍ
دَعَا عَنْكَ رُومًا وَأَثِينًا وَمَا حَوَّتَا
كُلَّ الْيَوَاقِيتِ فِي بَغْدَادَ وَالتُّوَمِ
وَحَلَّ كِسْرَى وَإِوَانَا يَدُلُّ بِهِ
هَمَى عَلَى أَثَرِ النِّيرَانِ وَالْأَيْمِ
وَاتَرُكْ رَعْمَسِيْسَ إِنَّ الْمُلْكَ مَظْهَرُهُ
فِي نَهْضَةِ الْعَدْلِ لَا فِي نَهْضَةِ الْهَرَمِ
دَارُ الشَّرَائِعِ رُومًا كُلُّ مَا ذُكِرَتْ
دَارُ السَّلَامِ لَهَا أَلْقَتْ يَدَ السَّلَامِ
مَا ضَارَعَتْهَا بَيَانًا عِنْدَ مُلْتَمِ
وَلَا حَكَّتْهَا قَضَاءً عِنْدَ مُخْتَصِمِ
وَلَا احْتَوَتْ فِي طَرَارِمِ مِنْ قِيَاصِهَا
عَبَسَ رَشِيدٍ وَمَأْمُونٍ وَمُعْتَصِمِ
مَنْ الْذِينَ إِذَا سَارَتْ كَتَابُهُمْ
تَصَرَّفُوا بِحُدُودِ الْأَرْضِ وَالشُّحْمِ

وَتَجْلِسُونَ إِلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
فَلَا يُدَانُونَ فِي عَقْلِ وَلَا فَهْمٍ
يُطَاطِئُ الْعُلَمَاءُ الْهَمَامَ إِنْ نَبَسُوا
مِنْ هَيْبَةِ الْعِلْمِ لَا مِنْ هَيْبَةِ الْحُكْمِ
وَيُمَطَّرُونَ فَمَا بِالْأَرْضِ مِنْ مَحَلٍّ
وَلَا بِمَنْ بَاتَ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ عُدْمٍ
خَلَّافًا لِلَّهِ جَلَّوْا عَنْ مُوَازَنَةِ
فَلَا تُقَيِّسَنَّ أَمْلَاكَ الْوَرَى بِهِمْ
مَنْ فِي الْبَرِّيَّةِ كَالْفَارُوقِ مِثْلَهُ
وَكَابِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَاشِعِ الْحَشِيمِ
وَكَالِإِمَامِ إِذَا مَا فَضَّ مُزْدَجِمًا
بِعَدَمِهِ فِي مَاقِي الْقَوْمِ مُزْدَجِمِ
الزَّاجِرِ الْعَذْبُ فِي عِلْمٍ وَفِي أُدْبٍ
وَالنَّاصِرِ النَّدْبُ فِي حَرْبٍ وَفِي سَلَمٍ
أَوْ كَابِنِ عَفَّانٍ وَالْقُرَّانُ فِي يَدِهِ
يَحْنُو عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْفُطَمِ

وَيَجْمَعُ الْآيَ تَرْتِيبًا وَيَنْظُمُهَا
عَقْدًا بِجِيَدِ اللَّيَالِي غَيْرَ مُنْقَصِمٍ
جُرْحَانٍ فِي كَيْدِ الْإِسْلَامِ مَا التَّأَمَّا
جُرْحُ الشَّهِيدِ وَجُرْحُ الْكِتَابِ دَمِي
وَمَا بَلَاءُ أَبِي بَكْرٍ بِمُتَّهِمٍ
بَعْدَ الْجَلَائِلِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْخِدَمِ
بِالْحَزْمِ وَالْقَزْمِ حَاطَ الدِّينَ فِي مَحَنٍ
أَضَلَّتِ الْحُلُمَ مِنْ كَهْلٍ وَمُحْتَلِمٍ
وَجِدْنَ بِالرَّاشِدِ الْفَارُوقِ عَنْ رُشْدٍ
فِي الْمَوْتِ وَمَسْوَيقِينَ غَيْرَ مُنْجِبِهِم
يُجَادِلُ الْقَوْمَ مُسْتَلًّا مُهْنَدُهُ
فِي أَعْظَمِ الرُّسُلِ قَدْرًا كَيْفَ لَمْ يَدُمِ
لَا تَعْدُلُوهُ إِذَا طَافَ الذُّمُّوْلُ بِهِ
مَاتَ الْحَبِيبُ فَضَلَّ الْعَدَا عَنْ رَغَمٍ
يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ مَا أَرَدْتَ عَلَيَّ
نَزِيلِ عَرْشِكَ خَيْرِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ

مُحْيِ اللَّيَالِي صَلَاةً لَا يُقْطَعُهَا
إِلَّا بِدَمْعٍ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْجِمٍ
مُسَبِّحًا لَكَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُحْتَمِلًا
ضُرًّا مِنَ الْمُهْدِ أَوْ ضُرًّا مِنَ الْوَرَمِ
رَضِيئَةً نَفْسُهُ لَا تُشْتَكِي سَأْمًا
وَمَا مَعَ الْحُسْبَى إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ سَأَمِ
وَصَلَّى رَبِّي عَلَى آلِ لَهُ تُخْبِرُ
جَعَلْتَ فِيهِمْ لِوَاءَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
بِيضُ الْوُجُوهِ وَوَجْهُ الدَّمْرِ ذُو حَلَكِ
ثُمَّ الْأَنْوَفِ وَأَنْفُ الْحَادِثَاتِ حَمَى
وَأَمْدٌ خَيْرَ صَلَاةٍ مِنْكَ أَرْقَى
فِي الصَّحْبِ صُحْبَتُهُمْ مَرَعِيَّةُ الْحَرَمِ
الرَّاكِبِينَ إِذَا نَادَى النَّبِيُّ بِهِمْ
مَا هَالَكَ مِنْ جَلَلٍ وَاشْتَدَّ مِنْ عَمَمِ
الصَّائِرِينَ وَنَفْسُ الْأَرْضِ وَاجِفَةٌ
الضَّاحِكِينَ إِلَى الْأَخْطَارِ وَالْقَحَمِ

يَا رَبِّ هَبَّتْ شُعُوبٌ مِنْ مَنِيَّتِهَا
 وَاسْتَيْقَظَتْ أُمَّمٌ مِنْ رَقَدَةِ الْعَدَمِ
 سَعِدَ وَتَحَسَّنَ وَمُلِكَ أَنْتَ مَالِكُهُ
 تُدِيلُ مِنْ نِعَمٍ فِيهِ وَمِنْ نِقَمٍ
 رَأَى قَضَاؤُكَ فِينَا رَأَى حِكْمَتِهِ
 أَكْرَمَ بِوَجْهِكَ مِنْ قَاضٍ وَمُنْتَقِمٍ
 فَالْطُّفَ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا
 وَلَا تُزِدْ قَوْمَهُ خَسْفًا وَلَا تُسِرِّمْ
 يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدَأَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ
 فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَامْنَحْ حُسْنَ مُخْتَلَمٍ



قراءة الفهر :

على غرار القدماء يبدأ أمير الشعراء أحمد شوقي قصيدته بالغزل :

رَمِّمْ عَلَيَّ الْقَاعَ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
أَحْلَلْ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
رَمَى الْقَضَاءُ بَعَيْنِي جُودِرِ أَسَدًا
يَا سَاكِنَ الْقَاعِ أَدْرِكْ سَاكِنَ الْأَجَمِ
لَمَّا رَنَا خَدَّتُنِي النَّفْسُ قَائِلَةً
يَا وَيْحَ جَنْبِكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
جَحَدْتُهَا وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَيْدِي
جُرْحُ الْأَجْبَةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمِ
ر - - سَمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ
إِذَا رَزَقْتَ التَّمَّاسَ الْعُذْرَ فِي الشَّيْمِ
يَا لَائِمِي فِي هَوَاهُ وَالْهَوَى قَدَرٌ
لَوْ شَفَكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تُلْمِ
لَقَدْ أَثْلَثُكَ أَذُنًا غَيْرَ وَاعِجَةٍ
وَر - - دَيْتِ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمِ

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ لَا ذُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا
أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمَ

ثم يمضي متحدثًا عن الدنيا ، وأن نعيمها زائل ، وهي لا تبقى على
حال ، لذا يحذر من بطشها وغدرها يقول :

يَا نَفْسُ دُنْيَاكَ تُخْفِي كُلَّ مُبَكِّيَةٍ
وَأِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا حُسْنٌ مُبْتَسِمٌ
فُضِّي بِتَقْوَالِكَ فَأَمَّا كُلُّ مَا ضَحِكْتَ
كَمَا يَفْضُ أَذَى الرِّقْشَاءِ بِالشَّرَمِ
مَخْطُوبَةٌ مُنْذُ كَانَ النَّاسُ خَاطِبَةً
مِنْ أَوَّلِ الدَّمْرِ لَمْ تُرْمِلْ وَلَمْ تُنَمِ
يَفْنِي الزَّمَانُ وَيَبْقَى مِنْ إِسَاءَتِهَا
جُرْحٌ بِآدَمَ يَبْكُ مِنْهُ فِي الْأَدَمِ
لَا تَحْفَلِي بِجَنَاهَا أَوْ جِنَايَتِهَا
الْمَوْتُ بِالزَّمْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحْمِ
كَمْ نَائِمٌ لَا يَرَاهَا وَمَيَّ سَاهِرَةٌ
لَوْ لَا الْأَمَانِيُّ وَالْأَحْلَامُ لَمْ يَنَمِ
طَوْرًا تَمُذِّكُ فِي نُعْمَى وَعَافِيَةٍ

وَنَارَةٌ فِي قَرَارِ الْبُؤْسِ وَالْوَصَمِ
أما مدحه للنبي ﷺ فقد استغرق باقي النص ، أبان فيه عن حياة
المعصوم ﷺ منذ صغره حتى نشر الدعوة الغراء وانتشارها في بلاد فارس
وبلاد الروم ، وما في دعوته الطاهرة من قيم وهداية للعالمين جميعا .
فاليتيم فيه ﷺ لبس عيبا ، وبين شوقي أن اليتيم هنا يعنى التفرد
كالدرة النادرة تكون يتيمة بين أترابها ، يقول :

دُكِرَتْ بِالْيُتِمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةً
وَقِيَمَةُ الْوُلُوِّ الْمَكْنُونِ فِي الْيُتِمِ
والنظر إلى الصفات الطيبة (التي ينعت بها :

الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفٍ
وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمٍ
شُمُّ الْجِبَالِ إِذَا طَاوَلَتْهَا انْخَفَضَتْ
وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا وَاسَمَتْهَا تَمِيمُ
وَاللَّيْثُ دُونَكَ بِأَسَا عِنْدَ وَثْبَتِهِ
إِذَا مَشَيْتَ إِلَى شَاكِي السِّلَاحِ كَمِي

وهذه البردة كتبها شوقي معارضا بردة البوصيري التي قالها في مدح
المصطفى ﷺ ، وفي سبب نظم القصيدة نقل عن كتاب "فوات الوفيات"

للكاتبى أن البوصيرى أصيب بالفالج وهو شلل نصفى عانى منه مدة من الزمن حتى عجز عن الانقلاب من جنب إلى جنب في الفراش ، فعزم على أن ينظم قصيدة في مدح رسول الله يستشفع بها إلى الله ، عساه ينجيه مما به . فلما نظمها أنشدها مراراً وأكثر من الدعاء والبكاء ، ونام فرأى النبي ﷺ في المنام ومسح على ما به من الوجع ، ثم ألقى عليه برده . فانتبه وقد عوفى من فوره .

وشاع خبر القصيدة والمنام في مصر حتى أن وزير الظاهر بيبرس نسخها ونذر أن لا يسمعها إلا وهو قائم على قدميه حافياً مكشوف الرأس . ثم اشتهرت في سائر بلاد الإسلام .

والخطاب الشعري في هذه القصيدة يبرز عاطفة قوية ، وأحاسيس دفاقة تبرزها الألفاظ ، وهي من القصائد الطوال تناول سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويبرز ما كان يتحلى به من صفات .

وقد اتخذ الشاعر من بحر البسيط مطية يصل بها إلى غايته ، كما جاء قافية الميم المكسورة مناسبة لما في النص من أساليب ومعان .

أما أساليب الشاعر فتتنوع بين الخبر والإنشاء ، وإن كان الأسلوب الخبري هو الغالب في تناغم طيب .

من الأساليب الإنشائية ،

- هل تجهلون مكان الصادق العلم ؟ استفهام يفيد النفي .
- يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم . نداء غرضه الالتماس .

- يارب أحسنت بدء المسلمين به . نداء للتضرع والالتماس .
- فتمم الفضل وامنح حسن محتم . أمر غرضه الالتماس والطلب .
- ومن الصور الجمالية ،
- سائل حراء . استعارة مكنية .
- خفضت جناح الذل . استعارة مكنية .
- تطفئ طغي الجياد . تشبيه .
- مفناك أبعد للمشتاق من إرم . كناية
- ومن المحسنات البديعية ،
- كم نائم لا يراها وهي سامرة . طباق
- رب أصل لفرع في الفخار غمي . طباق
- لا تحفلي بجناها أو جنايتها . جناس
- سناؤه وسناه الشمس طالعة . جناس

وقفنا الله جميعا لما فيه الخير والرشاد .

المراجع

- ١- أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر القاهرة : دار المدني ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
- ٢- إعجاز القرآن للباقلاني. تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة : دار المعارف ط ٣ ، ١٩٧١ م
- ٣- التلقي والتأويل. المركز الثقافي العربي ، محمد مفتاح الدار البيضاء ، ط. ١ ، ١٩٩٤.
- ٤- السيمياء العامة وسيمياء الأدب. عبد الواحد المرابط الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ، بيروت ، لبنان ط. ١ ، ٢٠١٠ .
- ٥- القراءة وتوليد الدلالة، حميد حمداني ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط. ١ ، ٢٠٠٣.
- ٦- البعد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قدنيايا ونماذج ، الدكتور : الشاهد البوشيخي ، المغرب
- ٧- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد - ر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة : ط ١ ، ١٩٩١ م .
- ٨ دليل الناقد الأدبي . دميحان الرويلي ، د سعد البازغي : المركز الثقافي العربي المغرب ، ط ٤ ، ٢٠٠٥

- ٩- ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية، حققه: أحمد بدوي
حامد عبد المجيد، راجعه: طه حسين، المطبعة الأميرية / القاهرة
١٩٥١ م
- ١٠- ضفاف (مجلة إبداعية ثقافية). فبراير ٢٠٠٤، العدد: ٦ -
مؤسسة النخلة للكتاب.
- ١١- فعل القراءة: نظرية جمالية التجارب في الأدب، فولفغانغ إيزر -
ت: د. حميد حمداني، د. الجلال الكدية - مكتبة المناهل
فاس - ب ط.
- ١٢- قراءة النص وجماليات، بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا
النقدي (دراسة مقارنة)، د. محمود عباس عبد الواحد - دار الفكر
العربي، مدينة نصر - ط: الأولى ١٩٩٦ م.
- ١٣- مناهج النقد المعاصر، د صلاح فضل: دار الآفاق العربية
القاهرة ط ١٩٩٧، ١.
- ١٤- من قضايا التلقي والتأويل، أحمد بو حسن، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية / جامعة الملك محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٥ م
- ١٥- موقع (قربى العلم والثقافة) نظريات القراءة والتلقي
د / جميل حمداوي .